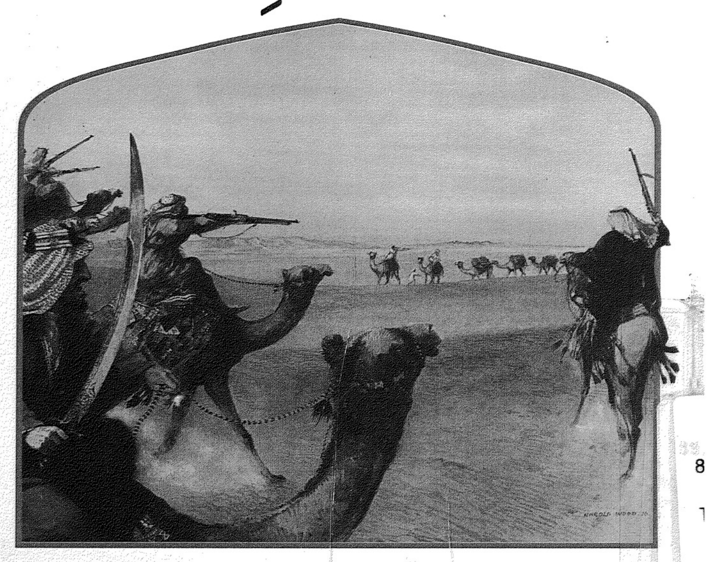
١٢

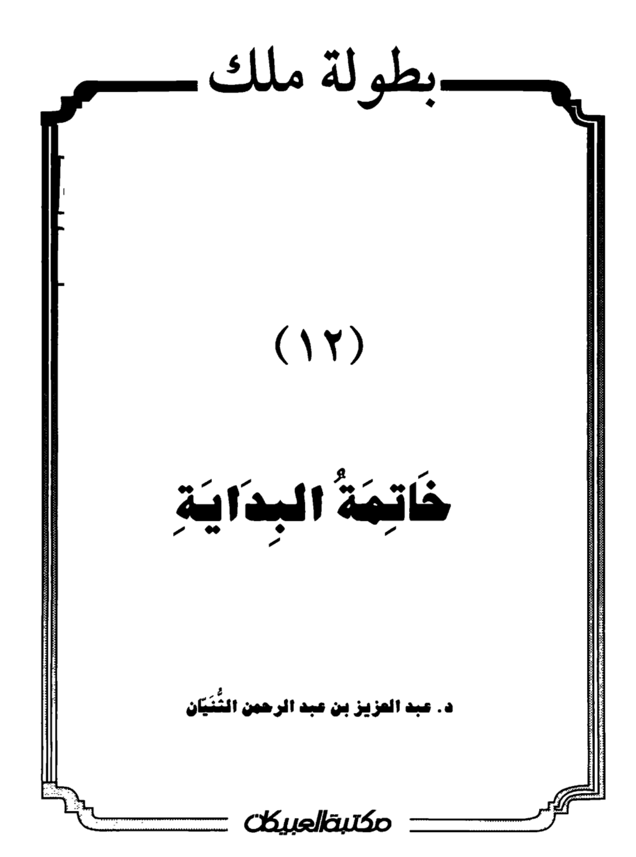
بطولة ملك

خاتِمَةُ البِدايَةِ



د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

مكتبة العبيكان



بطولة ملك

(١٢)

خَاتِمَةُ البِدَايَةِ

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثُّنَيَّان

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثُنيّان، عبد العزيز بن عبد الرحمن

خَاتِمَةُ البِدَايَة. - الرياض.

٢٧ص، ١٧ X ٢٢ سم (سلسلة بطولة ملك؛١٢)

ردمك: ٩-٤٨٣-٢٠-٩٩٦٠

١- عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ملك السعودية

٢- السعودية - تاريخ الملك عبد العزيز ٣- كتب الأطفال - السعودية

أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٩٥٣،١٠٥ ١٨/٤٠٩٣

ردمك: ٩-٤٨٣-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٨/٤٠٩٣

الطبعة الأولى

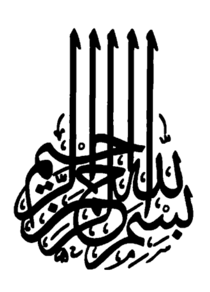
١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩



خَاتِمَةُ البِدَايَةِ

قالَ الرَّاوي: إنَّ الإدريسيَّ كتبَ للوَالي التركيِّ في عَسير، يخبرُه أنَّ الإمامَ يحيَى راسلَه، وطلبَ منْه أنْ يتَّحدَ معَه، وأنْ يتفقَ وإيَّاه ضدَّ تركيا وحاميَتها في عَسير، وأنَّه لَم يُجب الإمامَ علَى رسَالته. وطلبَ الإدريسيُّ من الوَالي التركيِّ إعطاءَه مدفَعَين، وسوفَ يكتبُ بعدَ ذلكَ إلى الإمَام يَدعُوه إلَى العُدولِ عَن فكرتِه، وإنْ لَم يَرجعْ عَنها فإنَّه مستعدٌّ للزَّحف علَيه وتَأديبه.

خلافٌ وأطماعٌ، وخوفٌ وحذرٌ، ويوماً أنا معَك وغداً ضدُّك. ولم يتفقْ أولئكَ الرجالُ، وعاشُوا فَترات من الحُروبِ والخوفِ، وكلٌّ يتوجَّسُ من الآخَرِ، وكلٌّ يرتَابُ من الثَّاني.

وتتطورُ الأمورُ، ويكونُ الصدامُ المسلحُ، فيوماً بينَ الحامية التركيَّة والأدَارسة، وشهراً بين الإمام يحيَى والأدارسَة، وأحياناً بينَ حُكومة الحجاز والأدارسَة. وعامَّةُ الناس يذهبونَ وقوداً لتلكَ الخلافَات، وحَطَباً لتلكَ النِّزاعاتِ! ألا مَا أشقَّ تلكَ الفتراتِ! وما أمرَّ ذلكَ

الزمانَ!

إنَّ جازانَ وصَبْيَا وما حولَهما تجاذبَتْها الأهواءُ، وعاشتْ فَترات من الخَوف والرُّعْب، والفَقْر والنَّهْب.

إمامُ اليمَن يَقولُ: تهامةُ جزءٌ من مملكَتي.

وحكومةُ الحجاز تقولُ: تهامةُ تابعةٌ للحجَاز.

أمّا آلُ عَائض فيقولونَ: تهامةُ امتدادٌ لجبَال عَسير.

ودارَتْ الأيامُ، وشَالَتْ كفَّةُ الميزَان حكومَات، ووضعَت أخرَى، وانتصرَتْ أمةٌ في الحَرب العالميَّة، وخسرَتْ أمةٌ ثانيةٌ، وكانَتْ تركيَّةُ من الدول الخاسرةِ، ومن الشُّعوبِ الممزَّقة.

ورحلَ الأتراكُ من عَسير، وسيطَر بطلُ الجزيرَة وصَقرُها علَى عَسير، وأعادَ ذلكَ الإقليمَ إلى سابق عهده، وعيَّنَ لَه الأمراءَ، ووضعَ له الأنظمةَ. وبقيَت التهائمُ ومَا هُوَ امتدادٌ لجبال عَسير.

ووجدَ الإدريسيُّ أنَّه بينَ نارَيْن، فحكومةُ الحجَاز تَرنُو وتَتطلَّعُ، والإمامُ يحيَى في اليمَن يترقَّبُ ويَتحيَّنُ. والويلُ للخائفِ، والهَمُّ للضعيفِ.

وصارَ الإدريسيُّ يبحثُ عَن سَنَد يجدُ عندَه الوفاءَ والشهامةَ، وعَن عَضدٍ يلقَى لديَه المروءَةَ والكرامةَ، فرأى صَقراً أطلَّ من الجبَال الشَّاهقَة فوقَ تهامةَ، وشَاهدَ أسداً في تلكَ المنطقَة الملاصقَة، فوجدَ لديَه القُوةَ والمَنَعةَ، ولجَأ إلَيه، فلبَّى الملكُ عبدُ العَزيز الطَّلبَ، واستجابَ للنِّداء.

وصارَتْ بينَ الرجُلَين مرَاسَلاتٌ ومكاتَباتٌ، انتهَتْ بتَوفير الحماية للإدْريسيِّ من قِبَلِ الملك عبد العزيز، فتحقَّقَتْ لَه الهَيبةُ والمَنَعةُ.

واستمرَّ الإدريسيُّ مَنيعَ الجانبِ، مَرهوبَ السُّلطةِ حَتَّى وفَاته سنةَ ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م.

وبعدَ وفَاة هَذا الدَّاهية اضطربَتْ أحوالُ الأدارسة؛ فقَد ولَيَ الأمرَ بعدَه ابنُه عليٌّ، وكانَ فيه ضَعْفٌ وخَوَرٌ.

وعاجَلَه الإمامُ يحيَى فانتزعَ منه الحُديِّدةَ، وتوغَّلَ في السَّاحل شَمالاً، حتَّى وصلَ إلى مَيْدي.

وتدارسَ أهلُ تلك المنطقَة الرَّأيَ، وأيقَنُوا أنَّ الابنَ لا يتَّصفُ بسمَات الزَّعامَة، ولا بُدَّ من تنحيَته وإبعَاده.

واتَّصَلوا بعَمِّه الحسَن بن عليٍّ، الذي كانَ أكفَأ وأقدرَ منَ ابنِ أخيه،

وبايَعُوه بالإمارة وتَولِّي شؤون السُّلطة .

وجَزَمَ الحسنُ بنُ عليٍّ بحاجَته إلى الملك عَبد العَزيز؛ فإمامُ اليَمَن يترقَّبُ ويتحيَّنُ، وقَد اقتطعَ جُزءاً من إمَارَته، ولهَذا جَدَّدَ الولاءَ، واتَّصَلَ بالملك عبدِ العزيز، وعقدَ معَه اتفاقيةً في مكةَ المكرمة عامَ ١٣٤٥هـ.

وتَقضي هذه الاتفاقيةُ بحمايَته من أيِّ اعتداء، وأن يكونَ للملك عَبد العَزيز الشؤونُ الخارجيةُ، وللحسَن إدارةُ بلادِه في الدَّاخل، ويساعدهُ في أعمَاله مندوبٌ من الملك عبد العزيز .

وعملَت الأطرافُ بالاتِّفاقية، ولكنَّ حكومةَ الحَسن لَم تستَطع السيطرةَ وضبطَ الأمن والإدارةَ والجبايةَ، وتطوَّرَت الأمورُ من سيِّئ إلى أسوأ .

وصارَتْ مكاتباتٌ بينَ الملك عبد العزيز والحسَن الإدريسيِّ، وعلَى إثْرها أبرقَ الحسنُ إلى الملك عبد العزيز في ١٧ من جُمادَى الأولَى سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، يقولُ: كُتُبُكم وصلَت، وتذاكَرْنا معَ وفْدكم، فنقرِّرُ بموافقَتنا ورضانا إسنادَ إدارَة بلادنا ومَاليَّتنا إلى عُهدة جلالَتكم .

إنَّها البطولُة والعظَمةُ، صيَّرَت الأقاليمَ تنشُدُ عَوْنَ المَلك عبد العزيز، وتطلبُ حمايتَه، وتخطُب وُدَّهُ، وأصبحَ أمراؤُها يجدونَ عندَه المكانةَ والمنزلةَ، والتقديرَ والإكرامَ.

وأضحَت المهابةُ سمةً من سمَات المَلك عَبد العَزيز، وباتَت تسري بينَ القَبائل، وتتناقلُها الرُّكبانُ، وتتحدَّثُ بها الرُّواةُ.

وأضحى الوُدُّ يتنامَى، وأصبحَ يتنقَّلُ من منطقَة إلى أخرَى، ومن الشَّرق والغَرب والشَّمال والجَنوب، إلى الوَسطِ والقَلبِ، إلى الرِّياض وأسَدها.

إنَّ صبيَا وجازانَ وسامطةَ ومحايلَ عَسير وتهامةَ كلَّهَا تتشوَّقُ وتتلهَّفُ، تَرنُو وتُنادي، وتَرمي بأعنَّتها إلى الفَارس البطَل.

وهكَذَا فالأدارسةُ سَلَّمُوا، والأهالي ناشَدُوا، فأصبَحْت تلكَ المنطقةُ جُزءًا من بلاد عبد العزيز، رحمهَ الله.

ومضَت الأيامُ، وتحقَّقَت الآمالُ، وتوحَّدَت المملكةُ العربيةُ السَّعوديةُ، فلَم يَبْقَ جُزْءٌ إلا وقَد عادَ، وارتبطَ بالرِّياض، وعمَّ الخيرُ، ورفرفَ السَّلامُ.

إلا أنَّ الأيامَ حبالَى، تَأتي بالعَجَائب، والزَّمنَ يَمضي، وعجلتُه تدورُ، وفيه الأسرار والخبايَا.

وكَم من حَاسد أبدَى لكَ الوُدَّ! وكَم من حَاقد أظهرَ لكَ الحُبَّ! والملكُ عبدُ العزيز بَشَرٌ لَه أعداؤُه؛ فأبُوه آدَمُ أخرجَه حِقدُ إبليسَ من الجَنة.

ولقَد أجادَ الشاعر القديم سعدُ بنُ ناشبٍ التميمي حينَ قالَ:

فَـإن تَهـدمُـوا بالغَـدر دَاري فـإنَّهـا
تـراثُ كـريمٍ لا يُبـالي العَـواقِـبَـا

أخِي عَـزَمَـاتٍ لا يُريدُ عَلى الَّذي
يهِمُّ به من مَـقطعِ الأمـرِ صـاحـبَـا

إذَا هَمَّ لَـم تُـردعْ عَـزيمـةُ هَمِّـه
ولَـم يأتِ مَـا يأتِي من الأمـرِ هَائبَـا

إذَا هـمَّ ألقَى بينَ عَـينَيْـه عَـزْمَـه
ونكَّبَ عَن ذكـرِ العَـواقبِ جـانبَـا

ولَـم يَسْـتَـشِـرْ في أمْـره غـيـرَ نَفْـسـه

ولَـمْ يَرْضَ إلا قَـائِمَ السَّـيْفِ صَـاحِبَـا

وبينَمَا الملك عبد العزيز - رحمَه الله - قد أنهَى توحيدَ بلاده، فجمعَ الشملَ، ولِمَّ الوطنَ جاءَه أنَّ السوءَ ظهرَ في تهامةَ، وأنَّ الحقدَ أثمرَ لدَى الأدارسَة، وأنَّ جُـهـودَ الحَاقـدينَ وجدتْ صَـدًى لَدَى الحَسن الإدريسيِّ.

فقدْ تغيَّرَ الرجلُ وتبدلَ، وسمعَ مقولةَ السُّوء، ونسيَ أنَّه كانَ عاجزاً عَن القيَام بالأعبَاء، ومَالَ إلى المناوئينَ، واستجابَ للمُتَآمرينَ.

رَحْمَةُ الله عَليكَ يا عبدَ العزيز، ما أصبرك! وما أعظمَكَ!

تحمَّلْتَ ما لا تتحَمَّلُه الجبالُ الرَّواسي!

إنَّ وراءَك وقُدَّامَك أعداءً كثيرينَ. إنَّكَ تحاذرُ هذا، وتُهادنُ ذاكَ، وتضربُ الباغيَ، وتلطمُ الجانيَ، وتوحِّدُ أمةً، وتَبني مَجداً .

وتجهَّمَ الإدريسيُّ للأمير السَّعوديِّ هناكَ، فهدِ بن زُعير، وعلمَ

الملكُ عبدُ العزيز أنَّ الحسَنَ وفهداً علَى غيرِ وفاقٍ.

وأرسلَ علَى الفَور بعثةً للإصْلاح بينَهما، وأصحبَها بعدَدٍ من الجنود، وأركبَ البحرَ فريقاً من المقاتلينَ؛ تحسُّباً لأيِّ طَارئٍ.

وبينَما البعثةُ في الطريق وَثَب الحسنُ الإدريسيُّ على الأمير السَّعوديِّ والموظَّفينَ السَّعوديينَ، فاعتقلَهم قبلَ أن يتمكَّنُوا من الدفاعِ عن أنفسهِم.

وبلغَ الخبرُ الملكَ عبدَ العزيز في الرِّياض، فأمرَ بتَجهيز جَيش للزَّحْف إلى صَبيَا، وأجرَى الإدريسيُّ الاتِّصالات معَ الإيطاليِّينَ، ومعَ اليمَن يطلبُ الحمايةَ والنَّجدةَ، ولَكن هيهاتَ، هيهات؛ فلعَبد العَزيز هيبةٌ ومكانةٌ، وصَولةٌ وزعامةٌ.

وسيطرَت القواتُ السعوديةُ علَى الموقف، وثبتَ الإدريسيُّ مدةً من الزمَن، ثم شعرَ بالضَّعف، فتركَ صبيَا، ورحلَ بأقاربه وأهله وخاصته، فدخلَ اليمنَ، وحَطَّ رحالَه في صنعاءَ.

وانتهَت المعاركُ في أوَاخر شوَّال سنةَ ١٣٥١هـ، ١٩٣٣م، وحينَ رحلَ الإدريسيُّ إلى اليمَن طلبَ الإمامُ يحيَى من الملك

عَبدالعَزيز أن يُبقيَهم لدَيه، فوافقَ المَلكُ على ألاَّ يَقومُوا بأيٍّ نشَاط ضدَّه، وأكرمَهم الملكُ عبدُ العزيزُ، فتولَّى الإنفاقَ علَيهم وهُم هناكَ، وشملَهم برعايته وهُم لدَى الجار القَلِق.

وهكَذا زالتْ إمارةُ الأدارسَة شكلاً ومضموناً، مظهراً وواقعاً، حقيقةً واسمًا، واكتملَ توحيدُ الوطَن.

إلاّ أنَّه حينَ لجأ الأدارسةُ إلى إمام اليمَن وبقُوا لدَيه، واستقرَّ بهم المقامُ تحرَّكَت الأهواءُ، وعملَ الوشاةُ، والتقَت الرغباتُ. ولعلَّ بعضَهم زيّنَ لبعض، فتحاورُوا واتفقُوا علَى العَداءِ والطمَعِ، وأجمَعُوا علَى الإغارةِ والمخاصَمة.

إنَّ الأدارسةَ يحْلمُونَ ويتَخَيَّلُونَ، ولكنْ أنَّى لهُم ذلكَ؟! فقَد زالَ كلُّ شَيء ولم يبقَ إلا التاريخُ.

وإمامُ اليمَن له أطماعٌ في عَسير؛ فقدْ حاولَ سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م ضَمَّ تلكَ المناطق- ومن ورائها نَجران- إلى مملكة اليمَن، فاصطدمَ بالتحالُف الذي كانَ بينَ الأدارسَة والملك عبد العزيز، ولم تفلحْ محاولاتُه، ثم سيطرَ في فَتْرةٍ لاحِقةٍ على الحُدَيْدة، وضَمَّها إلى مملكته.

وظنَّ إمامُ اليمَن أنَّ الملكَ البطلَ سهْلُ العَريكة، ضعيفُ الشَّكيمة، وحسبَ أنَّ مجامَلات الملك لَه وصَبرَه علَيه ضَعْفٌ وخَوَرٌ. وتخيَّلَ أنَّ مداراةَ المَلك لَه ورسائلَه التي تصلُه بينَ الحينِ والآخَرِ خَوْفٌ وجُبن.

إنَّ البطلَ عبدَ العزيز عظيمٌ في تعامُله، سَمحٌ في تحاوُره، يَدفعُ الشرَّ بالتي هي أحسنُ، ويَردُّ السوءَ بالذي هو أفضلُ، فها هوَ يرسلُ الوفودَ تلوَ الوفود إلى الإمام يَحيَى، حتى أن الإمامَ عامَلَ أحدَ الوفود بقسْوَة، فقد أبقاهُم عندَه في اليمَن عشرةَ أيام لا حديثَ ولا كلامَ، وتركَهم محجوزينَ في بَيت لا يخرجونَ ولا يتحرَّكونَ، وكأنَّهم في سجْن.

إنهم رُسلُ سَلام ومحبة، ودُعاةُ صُلح ومَودَّة، فكيفَ يُهانونَ؟!

وبعدَ ذلكَ سمحَ لهم بزيارَته ساعةً، ثم أهملَهم شهراً كاملاً. فأينَ الكرمُ والمروءةُ؟!

وملَّ الوفدُ، وسَئمَ الإقامةَ، ثم أرسلَ إليهم مَن يفاوضُهم بمطالبَ لَم يطلُبْ مثلَها الحلفاءُ من ألمانيا، كما يقولُ الرواةُ.

ورفضَ الوفدُ تلكَ المطالبَ، فحجزَهم الإمامُ يحيَى عن السفر، ومنَعهم مخابَرةَ الملك عبد العزيز بالبرقيات، بعدَ أن كانُوا يخابرُونَه، ويتلقَّونَ تَوجيهاته.

وحينَ انقطعَتْ أخبارُهم، وطالَت أوبَتُهم كانَ جوابُ الملك البطَل إعلانَ الحَرب، ونادَى المنادي: إلى الجهاد، إلى الجهاد.

وعلمَ إمامُ اليمَن، فخافَ واضطربَ، وأذنَ للوَفد بالسفَر. ووصلَ الوفدُ، وأبلغَ الملكَ بما تمَّ.

وعلَى عادة الملك عَبد العزيز - رحمَهُ اللهُ - كتبَ إلى الإمَام يحيَى، وحَذَّرَه من التصلُّب، وأنذرَه بأنَّ الأعداءَ يتربَّصونَ، وأن الوُشاةَ يعملونَ، وأنَّ العاقبةَ ستكونُ مُحزنةً، وأنَّ النِّهايَةَ ستكونُ مُفْزعةً.

ولَم يسمعْ إمامُ اليَمَن صَوتَ العَقل، فتمادَى وتطاولَ، واستمرَّ يتحرَّشُ، ثم تقدَّمَ بجَيشه سنةَ ١٣٥٢هـ إلى جبال جازانَ، حيثُ كانتْ إمارةُ الأدارسة، وتجاوزَها إلى نجرانَ، ووصلَ الخبرُ إلى الملك عبد العزيز، فهالَه واستعظمَه، واستقبحَه واستكبرهَ، وكتبَ إلى الإمام يَحيَى: ما الخبرُ؟ لماذَا؟ وكيفَ؟

وتبادلَ الزَّعيمان الرسائلَ، واتَّفقَا على عَقْد مُؤتمر في أبْها. وحضرَت الوفودُ عن كلٍّ منهما، وطالَ الحوارُ، ولكنَّهم انصرفُوا دونَ اتِّفاقٍ، وعادُوا أدراجَهم دونَ نتيجة.

وتمادَى الجيشُ اليمَني، وتوغَّلَ مقاتلوه، وعَبثُوا ونهبُوا، وسَلبُوا وقتلُوا!

ووصلَ وَفْدٌ من نجرانَ إلى الرِّياض، وقابَلَ الملكَ عبدَ العزيز، ودارَ الحوارُ التالي:

يا عبدَ العَزيز، جئناكَ من نَجْرانَ يَحدُونا الأملُ أن تعطيَنَا مواثيقَ أجدادك.

جئنَا لتَدرَأ الخطرَ الذي لَن يتوقَّفَ عندَ نجرانَ إنْ تركتَ إمامَ اليَمَن يفعلُ ما يَحلُو له.

قالَ البطلُ: اسمَعُوا، وأنَا أخُو نُورَة.

مثلَما أعطاكُم أجدادي عُهودَهم فأنا باقٍ عليها، بَلْ على استعدادٍ لأنْ أكتُبَها لكُم في مَواثيقَ جَديدةٍ.

عـودُوا إلى نَجـرانَ، ونَاوشُـوا المعـتـديَ، وسـتَجـدونَ القـوات السعوديةَ في كُلِّ ناحية.

ووجَّهَ الملكُ البطلُ إنذاراً ووَعيداً للإمَام يَحيَى:

يا إمـامُ، إيَّاكَ إيَّاكَ، تُبْ إلى رُشْدك، وحَكِّمْ عـقلَكَ، واسـحبْ قُواتك التي وصلَ بعضُها إلى نجرانَ وفيفَا.

يا إمامُ، عجِّل بعودَة رجَالك، إن المهلةَ أسبوعان.

يا إمامُ، إن بعدَ الأسبوعين حرباً وناراً.

يا إمامُ، إن الحكمَ سيكونُ للسيف، والفصلَ للأسنَّة.

إذَا لَم يكُن إلا الأسنَّة مَركبٌ

فمَا حيلَةُ المضطَرِّ إلاّ رُكُوبُها

وانتهَت المهلةُ، وجاءَت القواتُ السعوديةُ تتسابقُ، وكل مـقاتل لسانُ حاله يردِّد قولَ أبي فراس الحَمدانيِّ:

فإن عِشْنا ذَخرْنَاها لأخْرَى

وإن متْنَا فَموْتَاتُ الرِّجَالِ

وانقسمَت الجموعُ إلى فريقَين:

شرقيَّة، تشتملُ على حدود عسير الجبليَّة ونجران.

وغربيَّة، منطلقة من منطقة جازانَ.

وكانَ الأميرُ سعودُ بنُ عبد العزيز قائداً عاماً للقوات الشرقية، بينَما كانَ الأميرُ فيصلُ بنُ عبد العزيز قائداً عاماً للقوات الغربية.

وتقدمَت القواتُ السعوديةُ، وتصادمَت مَعَ جَيش الإمام يحيَى، وارتبكَ الجيشُ اليمنيُّ وانهارَ، ولَم يصمُد.

وتوغَّلَت القواتُ السعوديةُ في الأراضي اليَمنية، وسيطرتْ علَى العَديد من المدن، فاستولَتْ على مَيْدي، ثم الحُدَيْدة، وبَيت الفقيه، وبلاد الزرانيق، والزيديَّة، ومدن أخرَى.

واستمرَّ القتالُ، وجاءَت الوفودُ تنشُدُ الصلحَ، وتعرضُ الوساطةَ بينَ الزعيمَين.

وقدمَ وفدٌ من كبار الشخصيَّات العربيَّة إلى الملك عَبد العزيز في الحجاز في الرَّابع من المحرَّم عام ١٣٥٣هـ، وعرضُوا عليه القيامَ بالوسَاطَة والصُّلح.

وبينمَا الوفدُ في ضيافة الملك عبد العزيز جاءَت الاستغاثةُ والبرقيةُ من الإمام يحيَى.

فقد أسْقطَ في يده؛ وعضَّ أصابعَ الندَم؛ فقواتُه مُنيتْ بالهزائم، والقواتُ السعوديةُ تزحفُ، وتحتلُّ المدنَ، الواحدةَ بعدَ الأخرىَ، ورجالُه ضاقتْ بهم الأرض، وكأنَّ المتنبِّي يقصدُهم بقَولِه:

وضاقَتِ الأرضُ حَتَّى كان هاربَهُمْ

إذا رأى غَيْرَ شيءٍ ظَنَّهُ رَجُلاً

ووصلَت البرقيةُ التاليةُ من الإمام يحيَى:

كفَى يا عبدَ العزيز؛ أمَرْنَا بسَحب جُندنا، عندكم عبدُ الله بنُ الوزير، تفضَّلُوا - عافَاكم الله - بطلبه لعَقْد معاهَدةٍ أخويَّة.

سحبْنَا هذه البرقيةَ عَن طريقِ أسمرةَ؛ حيثُ تعطَّلتْ (طارَ الهواءُ) لديْنَا.

ننتظر جوابَكم بواسطة أسمرةَ. وكانَ إمامُ اليمن يُسمِّي جهازَ البرقيَّة (طارَ الهواءُ).

وأجـابَ الملكُ البطلُ: سندعُـو ابنَ الوزير، المُهـمُّ أن يتمَّ انسـحـابُ الجند من نجرانَ، وإطلاقُ رَهائن الجبَال، وتسليمُ الأدارسَة إلينا.

إنَّ الملكَ عـبدَ العـزيز - رحـمَه الله - لا يريدُ اليـمنَ، ولا يـرغبُ في حُكمه، وإنَّما يريدُ السَّلامَ والوئامَ.

وجاءَت البرقيـةُ الأخرىَ من الإمام يحييَ بالموافقـة علَى الشروط الثلاثة، وأنه تمَّ الجـلاءُ عَن نجرانَ، وأنَّه صـدَر الأمرُ بتَسريح رهائن الجبال، وأنَّه سوفَ يتمُّ تسليمُ الأدارسَة في الحال.

وكرَّر الإمامُ الرَّجَاء: يا عبدَ العزيز، أوقفْ زحفَ القُوات السعوديَّة.

وأبرقَ الملكُ عبدُ العزيز لقُواته بوَقْف الزَّحف، واستدعَى عبدَ الله ابنَ الوزير إليـه. ووصـلَ ابـنُ الوزير إلى الطائـف، وأطلَعَـه الملكُ عبدُ العزيز على برقيَّات الإمام يحيَى.

ثمَّ بدأت المفـاوضـاتُ بَينَ الوَفد السعـوديِّ برئاسة الأمير خالد بن عبد العزيز والوَفْد اليمني برئاسة عَبد الله بن الوَزير.

وجلسَ المتحاورونَ، وهم فَريقٌ مُنتصرٌ في الحرب، وآخَرُ منهزمٌ.

فكيفَ سيكونُ الحوارُ؟

هل يُملي المنتصرُ شروطَه؟

وهل تنسحبُ القواتُ السعوديةُ من المناطق التي احتلَّتْها، ويعودُ الجنودُ السعوديونَ، ويُسَلِّمُ القائدُ الظافرُ المدنَ التي سيطرَ علَيها؟

وهلْ يدفعُ الإمامُ يَحيى تَعويضات الحَرْب، ويتحمَّلُ الخسائرَ التي كانَ سبباً في حُدوثها؛ فهُو البَادئُ، وهوَ الجاني؟

إنَّه لَم يحدُثْ في التاريخ أن يقبلَ المنتَصِرُ بالانسحاب دُونَ أيِّ شُروطٍ أو مُطالبةٍ بالتعويضِ.

يقولُ الزركلي: اعْلَمْ أنَّ عبدَ العزيز لما دعَا إليه ابنَ الوزير، وأطلعَه على البرقيَّات وأملَى إليه النقاطَ الأولية التي بُنيت عليهَا المعاهدةُ كانَ فلبي خارجَ المكان المعقُود فيه الاجتماعُ.

ولما سمعَ فلبي أن الملكَ عبدَ العزيز قَرَّرَ الانسحابَ من أكثر المواقع التي احتلَّها ولَداه سعودٌ وفيصلٌ وقفَ يبكي على بابِ الصِّيوانِ، فدعاهُ الملكُ، وسألَه: لِمَ تَبكي؟

فقالَ: على جُهود أضعتَها، وأمْوالٍ بذلتَها، حتى صارَ اليمنُ في قَبضة يَدك، ثم تتخلَّى عَن كلٍّ ذلكَ.

فقالَ الملكُ: لا نريدُ اليمنَ، اليمنُ لحاكمه.

وقالَ يوسفُ ياسين: بينَما كُنَّا نعملُ في كتابة المعاهدَة معَ اليمن لاحَتْ لي فرصةٌ سألتُ بها الملكَ، فقلت: ألا يمكنُ فرضُ غَرامةٍ على يَحيَى؟

فضحكَ، وقالَ: لو قامَت القيامةُ لم يَخرجْ من يَده دانق.

وكانَ تسامُحُ الملك عبد العزيز -رحمَه الله- سيِّدَ الموْقف، فقد اتفقَت الأطرافُ علَى الصُّلح، وسُمِّيت تلكَ الاتفاقيةُ بمعاهَدة الطَّائف؛ حيثُ وقَّعهَا رئيسَا الوفَدين السعوديِّ واليمنيِّ في السَّادس من صَفَر، عامَ ١٣٥٣هـ-٢٠/ ٥/ ١٩٣٤م.

ثمَّ وقَّعَ علَيها الملكُ عبدُ العزيز، وسافرَ بها من جدةَ وفدُ المصالحَة العربيَّة، ومعَه الوفدُ اليمنيُّ ووفدٌ سعوديٌّ، ووقَّعَ علَيها الإمامُ يحيَى، وتمَّ تبادُلُ نُسَخ الاتفاقية.

وانســحبَت قـواتُ كلٍّ من الطرفَين إلى الأراضي التي حـدَّدَتْهـا المعاهدةُ، وحلَّ السلامُ، وسادَ الوئامُ.

وهكَذا أُسدلَ الستارُ على الكفاح الحربيِّ، وطُويَتْ صحائفُ الكَرِّ والفرِّ، وتحـقَّقَت الوَحدةُ الوطنيةُ، وسادَت الرابطةُ الأخَويةُ بينَ أبناء المملكة العربية السعودية.

وانتـهَتْ بدايةُ تَوحيد الوَطن، وصارَ الهَمُّ بعـدَ ذلكَ بناءَ المملكة، وتقويةَ الرَّوابط بينَ أقَاليمها، وزيادةَ التماسُك والتَّلاحُم.

وكانَ الفضلُ لله أولاً، ثمَّ للمَلك البطَل عَبد العزيز بن عَبد الرحمن آل سعود، طَيَّبَ اللهُ ثراه.

إنَّه الرمزُ الذي نفاخرُ به، والبطلُ الذي نَعتزُّ بذكْره، والدَّاهيُة الذي نترَحَّمُ علَيه. وأحسبُ المُتنبي يَعنيهْ بقَوله:

تَملَّكَ الحمدَ حتَّى ما لِمُفْتخرٍ

في الحَمدِ حاءٌ ولاميمٌ ولا دَالُ

رَحمَ اللهُ البطلَ الذي ظلَّ زهرةَ شبابه وأغلبَ عُمره على صَهوَة

جَواده، وفوقَ ظَهر راحلَته متنقِّلاً بينَ الشَّمال والجنُوب والشَّرق والغَرب، يُوحِّدُ ويُلملمُ، يجمعُ ويُقرِّبُ.

وأختم هذه السلسلة برواية تصور شخصية الراحل، وتعلقه بالله، والتجاؤه إليه، في كل شدةً وكرب.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

يقول الراوي وهو من أهالي مدينة الرياض، وممن يوثق بكلامه، عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز السليمان عن والده:

صحبنا الملك عبدالعزيز في إحدى غزواته، وكان الوقت صيفاً، وطال بنا السير، وقلّ الماءُ على الركب، واشتدت حاجتُنا إليه، فقد

جفّت الشفاهُ، وتَيبّست الألسن، وعَطشت الإبلُ، وأصابها الهيامُ، وحلَّ بنا الكربُ والضيق، ثم لاح الفرج حين رأينا على البُعد مَوْرداً للمياه، فأسرعنا إليه، ولكن حين وصلنا، ونزلنا وجدنا المورد قد جَفَّ ونَضبَ، وعند ذلك تحسرنا، وزاد بلاؤنا، واحترنا ماذا نعمل؟

ولكن رأينا الملك عبدالعزيز يبتعد قليلاً عن الركب، ثم يَشرعُ يُصلي، ويتوجُه إلى الله، ويتوسل إليه، وينتحب بين يديه يسأله الغوث، ويطلبه الغيث.

وما هي إلا لحظات، وإذا بالسحب تتكون، ثم ينَهمرُ المطر، وترتوي الأرضَ، فيشرب الركبُ، ونشكر الله على نعمته، ثم غادرنا المكانَ وحين ابتعدنا قليلاً، لم نجد للمطر أثراً، ولم نلق للماء ريحاً.

رحم الله الملكَ الراحل، فقد أخلص لله فأعزه، وصدقت نيتُه مع الله فأكرمه، وتحقَّق لنَا - الأحفادَ - ما نعيشُه الآنَ من عزٍّ شَامخٍ، ومَجدٍ باذخٍ فوقَ ثَرَى الوطَنِ الغَالي، وطننا الحبيبِ، المملكةِ العربيةِ السعوديةِ.

المراجع الأساسية لهذه السلسلة

١- بعثة إلى نجد، فيلبي، ترجمة د. عبد الله بن الصالح العثيمين، توزيع مكتبة العبيكان - الرياض.

٢- البلاد العربية السعودية، فؤاد حمزة، مكتبة النصر الحديثة - الرياض.

٣- تاريخ البلاد العربية السعودية، د. منير العجلاني، دار الشبل - الرياض.

٤- تاريخ نجد الحديث، أمين الريحاني، دار الجيل - بيروت.

٥- حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد، ترجمة عجاج نويهض، دار الفكر - بيروت.

٦- خمسون عاماً في جزيرة العرب، حافظ وهبة، الطبعة الأولى، مكتبة البابي الحلبي - القاهرة.

٧- شبه جزيرة العرب/ عسير، محمود شاكر، المكتب الإسلامي - بيروت.

٨- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت.

٩- الطريق إلى الإسلام، محمد أسد، مكتبة العبيكان - الرياض.

١٠- عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى، د. عبد الله بن محمد بن حسين أبو داهش، إصدار نادي أبها الأدبي.

١١- عنوان المجد في تاريخ نجد. للشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر. الطبعة الرابعة. مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز

١٢- كنت مع عبد العزيز، إعداد مجموعة من المؤلفين، الطبعة الثانية، دار مبين للنشر والتوزيع ـ الرياض.

١٣- لسراة الليل هتف الصباح، عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري، الطبعة الأولى، رياض نجيب الريس.

١٤ ـ معارك الملك عبد العزيز المشهورة لتوحيد البلاد، د. عبد الله بن الصالح العثيمين، الطبعة الثانية، توزيع مكتبة العبيكان ـ الرياض.

١٥- ملوك العرب، أمين الريحاني، دار الجيل ـ بيروت.

١٦- موجز تاريخ وأحوال منطقة عسير، د. عبد الله سالم موسى القحطاني، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، الناشر المؤلف.


العبيكان
Obeikan
(٠١) ٤٩٨٣٣٩٢





بطولة ملك ١٢

خاتمة البداية



المؤلف في سطور

* د. عبد العزيز بن عبدالرحمن الثنيان
* من مواليد مدينة الرياض عام ١٣٦٩هـ.
* حصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي عام ١٤٠١هـ من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.
* عمل معلماً لمدة عامين.
* انتقل الى جهاز وزارة المعارف، وعمل في الإدارة العامة للأبحاث والمناهج.
* عمل مديراً عاماً للتعليم بمنطقة الرياض، ولمدة عشر سنوات.
* عمل وكيلاً لوزارة المعارف، ولمدة سبع سنوات حتى تقاعده المبكر عام ١٤١٩هـ.
* شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات واللجان، وله بعض المحاضرات والأبحاث في مجالات التربية والتعليم.
* من مؤلفاته التي صدرت:
  * الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث.
  * عمرو بن معديكرب الزبيدي (حياته وشعره).
  * بوح الذاكرة (الجزء الأول).
  * بطولة ملك (اثني عشر جزءاً).
  * بوح الذاكرة (الجزء الثاني).
* مؤلفات تحت الطبع:
  * إنسانية ملك (ثلاثة أجزاء).
  * بوح الذاكرة (الجزء الثالث).

هذه السلسلة

حكاية بطولة، وملحمة فتوة، ورواية عظمة، للكيان الشامخ المملكة العربية السعودية.

إنها قصة ملك عظيم، أمضى زهرة عمره فوق ظهر حصانه، يُوحد ويجمع، يلمّ ويبني.

إنها مجموعة متوالية تحكي للشباب التاريخ الحافل بالبطولات، والماضي المتوهج بالتضحيات وكيف توحدت المملكة، وصارت هذه الدولة.

إنها من اثنتي عشرة قصة مُتسلسلة

١- الفُتُوَّةُ والزَّعَامَةُ. ٢- الاقتحامُ والاستِرْدَادُ.
٣- التَّحَدِّي والمُنَازَلَة. ٤- تَحَالُفُ الخُصُومِ.
٥- السَّاحِلُ الشَّرْقِيُّ. ٦- مُحَايِدٌ ومُحَارِبٌ.
٧- مَعْرَكَةٌ تَلِدُ. ٨- ...
٩- الشَّمَالُ الجَامِحُ. ...
١١- العَرُوسُ والمَهْرُ. ...

هذا وقد قامت الأمانة العا... عام على تأسيس المملك... بتحكيم الكتاب وتقويمه... الأولى.

كما نال الكتاب جائزة ... ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

ردمك: ٩-٤٨٣-٢٠-٩٩٦٠

99042406000261